المجمع **15** (2020/1441)، 343-364

الرؤية النقدية في الشعر الفلسطيني الحديث
شعر عبد اللطيف عقل نموذجا

معاذ إشتية[1]

الملخّص:

تحمل كل تجربة إبداعية في بنيتها رؤية نقدية لصاحبها؛ فالتعرف إلى رؤية الشاعر النقدية يكون باتجاهين؛ الأول استنطاق منجزه الشعري على مستويي الشكل والمضمون للوصول إلى مفهوم الشعر وسماته والقضايا التي يعبر عنها بحسب ما يجسده هذا المنجز ضمن الحركة الشعرية العامة التي ينتمي إليها الشاعر، سواء أعلن أم لم يعلن، أما الثاني فيكون بالوقوف على تلك القصائد التي يتبنى فيها الشاعر موقفًا معلنًا وظاهرًا من العملية الشعرية، وفي كل الأحوال فإن أعمال الشاعر ودواوينه هي تجسيد لرؤيته وتعبير عن اتجاه شعري ذي أبعاد نقدية وأيديولوجية لا تخصّه وحده؛ لأن كل شاعر في تجربته هو جزء من حركة شعرية تغذّت على أشعار السابقين ولم تنمُ في فراغ، وإنما نمت في محيط إبداعي، جعلت منها صوتا منسجما مع الخطاب الشعري العام.

وعليه، فإن هذا البحث هو محاولة لاستنطاق دواوين عبد الطيف عقل الشعرية من أجل التعرف إلى رؤيته النقدية التي لا تعبّر عنه وحده إنما تنقل اتجاهًا شعريًا وخطابًا أيديولوجيًا تبناه كثير من الشعراء الفلسطينيين منذ النصف الثاني من القرن العشرين إلى مطلع النصف الأول من القرن الواحد والعشرين، وقد جاء البحث ينطلق من فرضية ترى في عقل نموذجًا معبّرًا عن الخطاب الأيديولوجي النقدي البارز في الحركة الشعرية التي تنتمي إلى المرحلة المذكورة، علما أن ظاهرة الشعراء النقاد هي من الظواهر التي تناولها النقد الأدبي على امتداد تاريخ الحركة الأدبية والنقدية العربية.

[1] جامعة الاستقلال. أريحا- فلسطين.

أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في كونه يتناول واحدة من القضايا الهامّة في الشعر الفلسطيني المعاصر؛ فالقارئ لكثير من التجارب الشعرية الفلسطينية المعاصرة يجد أن بعض الشعراء وقفوا في أشعارهم موقف النقاد وعبّروا عن مواقفهم من العملية الإبداعية؛ حيث جسّدوا في أشعارهم رؤى ذات أبعاد أيديولوجية عند التعبير عن رؤيتهم من النقد والنقاد، وتناولوا في أشعارهم مصادر الإلهام الأولى، وعبروا عن مفهوم الشعر ووظيفته، وحاولوا تقديم صورة للشاعر من خلال التركيز على دوره الإبداعي.

صحيح أن موضوعة الشعراء النقاد هي من القضايا التي التفت إليها الدارسون على امتداد تاريخنا الأدبي، لكن يبدو أن البحث في هذا الاتجاه بات ضرورة ملحّة بسبب عدم الالتفات إليها على مستوى الخطاب الفلسطيني.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق أهداف عدة، يمكن حصرها بالآتية:

1. الكشف عن المظاهر التي تؤكد أن تجربة عقل الشعرية جزء من الحركة الشعرية الفلسطينية المعاصرة على مستويي الشكل والمضمون.
2. الوقوف على المظاهر التي تدلّ على أن الخطاب الشعري لدى عقل هو حلقة من سلسلة حلقات الخطاب الأيديولوجي النقدي.
3. تناول الرؤية النقدية في أشعار عقل بوصفها جزءا من الخطاب النقدي في الشعر الفلسطيني.

مشكلة البحث:

تنطلق مشكلة البحث من تساؤلات عدة يمكن حصرها بالآتية:

1. كيف استطاع الشاعر الفلسطيني التعبير عن رؤيته من العملية الشعرية في خطاب يأخذ صفة أيديولوجيّة؟

2. ما هي أبرز المظاهر التي تؤكد على أن تجربة عبد اللطيف عقل الشعرية جزء من الخطاب الأيديولوجي في الشعر الفلسطيني.
3. ما هي أبرز القضايا النقدية التي عبّر عنها عبد اللطيف عقل في شعره؟

منهج البحث:

يعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في الوقوف على أبرز القصائد التي عبّرت عن رؤية ذات أبعاد نقدية؛ حيث يرصد الظواهر الدّالة عليها من جهة، ويقوم بتحليلها من جهة أخرى.

أقسام البحث:

قسم الباحث بحثه في إطار الإجابة عن أسئلته إلى تمهيد ومحورين:

1. تجربة عقل الشعرية في ضوء الخطاب الشعري الفلسطيني المعاصر.
2. الرؤية النقدية في شعر عبد اللطيف عقل.

تمهيد:

إن الشعر في شكله ومضمونه هو تعبير عن رؤية الشاعر للفنّ والوجود والحياة، وإن البحث في أية تجربة شعرية هو بمثابة استنطاق لهذه الرؤية، فكل عمل شعري يقوم على مقوّمات وعناصر تمنحه صفة الفنّ، وسواء أعلن الشاعر أم لم يعلن، فإن تجربته الإبداعية في مجال الشعر هي تجسيد حي لرؤيته للشعر على مستويات اللغة والأسلوب والصورة والإيقاع، إضافة إلى المضمون.

وعقل واحد من الشعراء الفلسطينيين الذين تبنّوا الالتزام بالقضية الفلسطينية؛ إذ عاش معاناة شعبه من تشريد وتهويد ونفي وتهجير وتعذيب وتنكيل ومصادرة أراض وبناء مستوطنات، وقد سلك طريق الالتزام في معظم نتاجه الشعري، فوعى دور الكلمة في الحركة النّضالية وراح يسخّر موهبته الإبداعية في سبيل الدفاع عن قضية شعبه، وقد تناول في شعره الوطن بهمومه السياسية وقضاياه وأحداثه، وعبّر عن حبّه لأرضه ودعا إلى الصمود فيها، وهو بذلك ينتمي إلى المدرسة الشعرية التي تبناها من قبله محمود درويش وسميح

القاسم وغيرهم من الأدباء الذين مدّوا التزامهم إلى أبعد من الحدود الفنية وانتسبوا بطريقة أو أخرى للحركة الوطنية[1].

وتتجسّد تجربة عبد اللطيف عقل الشعرية في مجموعة من الدواوين الشعرية[2].

وتأتي هذه القراءة للوقوف على رؤية عبد اللطيف عقل النّقدية من خلال تلك القصائد التي جاءت تحمل في مضمونها رؤيته من العملية الإبداعية؛ إذ تجسّد مطوّلته الشعرية المعنونة بـ"بيان العار والرجوع" (1992م) موقفا من الشّعر والشّعراء والنّقاد، وقد صدّرها بفضاء رأى فيه أن قصيدته حجارة وزهور، حجارة في وجه الشعراء الذين حادوا عن الطريق حين أخضعوا شعرهم وانتصروا للطغاة، وزهور تنثر على أولئك الذين حملوا لواء الحق في شعرهم، يقول:

"حجارة يلقي بها في وجوه بعض الشعراء والأدباء والمفكرين العرب من المحيط إلى الخليج، حيث وصفهم بأصنام النفط؛ لأنهم يحاولون تركيع الكلمة التي شاء الله لها أن تكون حرّة خالصة لوجه الحقّ والخير والجمال، في دنيا السياسة والثقافة العربية [...] وقد ذهب إلى أبعد من ذلك حين عرّض بهم ووصفهم بالتجار المارقين؛ لأنهم يزيفون

[1] غسان كنفاني، **الأدب الفلسطيني المقاوم 1948-1968** (بيروت، منشورات الرمال، 2013)، 60.

[2] من دواوينه:

1. **شواطئ القمر** (بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1964).
2. **أغاني القمة والقاع** (الناصرة: مطبعة وافست الحكيم، 1972).
3. **هي أو الموت** (نابلس: منشورات مكتب الصحافة الفلسطيني، 1973).
4. **قصائد عن حب لا يعرف الرحمة** (القدس: منشورات صلاح الدين، 1975).
5. **الأطفال يطاردون الجراد** (القدس: منشورات صلاح الدين، 1976).
6. **حوارية الحزن الواحد** (القدس: منشورات العودة، 1985).
7. **الحسن بن زريق ما زال يرحل** (القدس: منشورات صلاح الدين، 1986).
8. **قلب للبحر الميت** (نيقوسيا: مؤسسة بيسان للصحافة والنشر، 1990).
9. **بيان العار والرجوع** (القدس: مطبعة دار الكاتب، 1992).
10. **التوبة عن التوبة** (نابلس: د. ن.، د. ت.).

الوجدان العربي، الذي كان وسيظل أصيلا بعد أن تكنّس رياح النار المتوقدة هؤلاء النامين زورا وبهتانا في حديقة الخطاب الثقافي العربي [...] وفي المقابل فهي زهور اعتزاز وتيجان فخار تزيّن رؤوس المبدعين العرب الذين أنفوا ونفروا وآثروا أن يظلوا جند الحق والخير والجمال رغم شراسة العسْفِ ورعبِ الزيف والسقوط" [1].

وقد آمن عقل بدور النقاد في تقييم العملية الإبداعية وتقويمها، وأعلن عن ذلك صراحة، حيث يقول: "**إن كل الحركات الإبداعية سواء في الشعر أو في القصة أو في الرواية أو في أي لون من ألوان الأدب، إذا لم يقيّض لها مجموعة من النقاد يقومون على متابعتها ورعايتها فلا تسود أو تنتشر، وأنا أوازن الناقد الجيّد والجادّ بعدد من المبدعين"** [2].

وما ينطبق على عقل في هذه الدراسة يمكن أن نسوقه على المدرسة الأدبية والشعرية التي انتمى إليها في شعره وهي مدرسة الشعر الفلسطيني الحديث في اتجاهه المقاوم. من هنا، ستجد أن كثيرا من السمات الفنية والموضوعيّة التي تطلق على شعره، يمكن أن تساق على كثير من الأشعار التي بدت من مصادره الثقافية، فالمتتبّع لتجربة كثير من الشعراء الفلسطينيين يجد أنهم كانوا أصحاب مشاريع شعرية نظّروا لها وأولوها اهتماماتهم، وقد بدأ محمود درويش مسيرته الشعرية يرسم ملامح قصيدته بضمير الجماعة التي تنطلق من منطلق التعبير عن مدرسة شعرية هو أحد أركانها. يقول في قصيدته "عن الشعر":

قصائدنا، بلا لونِ
بلا طعم، بلا صوتِ!
إذا لم تحمل المصباح من بيتٍ إلى بيتِ
فأَوْلى أن نذرّيها

[1] ينظر: عبد اللطيف عقل، **الآثار الشعرية**، ج.2 (فلسطين: بيت الشعر، 2014)، 273-274.

[2] عبد الكريم أبو خشان، وآخرون، **محاورات عقل في الأدب والثقافة**، ط.1، (د.م: المركز الثقافي الفلسطيني "بيت الشعر"، 1999)، 130.

ونخلد نحن للصمتِ!! [1].

وهكذا، يحاول الباحث تناول رؤية عقل النقدية انطلاقا من الوقوف على تجربته في ضوء الخطاب الشعري الأيديولوجي الفلسطيني، وقد قسّم الباحث دراسته إلى محورين: الأول، تجربة عقل الشعرية في ضوء الخطاب الشعري الفلسطيني، والثاني، الرؤية النقدية في شعره.

المحور الأول: تجربة عقل الشعرية في ضوء الخطاب الشعري الفلسطيني:

تتساوق تجربة عقل الشعرية مع كثير من التجارب الشعرية الفلسطينية المعاصرة لها شكلا ومضمونا، حيث لجأ كغيره من الشعراء إلى استخدام أشكال شعرية متعددة، اتسعت لكثير من القضايا التي تناولها الشعراء الذين عاصروه؛ فقد سارت تجربته الشعرية بحسب بنيتها الشكلية على النحو الآتي: القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، والمطوّلة الشعرية، ثم العودة إلى القصيدة العمودية.

فالمتتبع لتجربته الشعرية يجد أنه بدأها كغيره من الشعراء بالاعتماد على القصيدة العمودية التي أكسبت شعره صفة الغنائية، علمًا أن هذه القصيدة تنسجم مع المضمون الوجداني والذاتي الذي يعبّر عن الاتجاه الرومانسي الذي ظهر في البواكير الأولى لتجربته الإبداعية، واللافت أن المرأة والحبّ هما عنوان هذه المرحلة التي عبر عنها في ديوانه الأول "شواطئ القمر" (1964م)[2]، الذي بدا من عنوانه أنه يختزل الاتجاه الذي عبّرت عنه قصائده.

تعبّر قصائده الأولى عن حبّ مراهق؛ وتتغذى على قصائد نزار قباني التي يبرز فيها الافتتان بجمال المرأة الجسدي[3]، وتصوّر أحاسيسه تجاه مفاتن المرأة المتمثلة في النهد والصدر،

[1] محمود درويش، **الديوان**، ط. 11 (بيروت: دار العودة، بيروت: 1984)، 37.

[2] معاذ إشتية، **عبد اللطيف عقل شاعرا**، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، بإشراف: عادل الأسطة، 2004، 124-125.

[3] **ن.م.**، 40.

والمتتبع لهذه القصائد يجدها ذات اتجاه تقليدي أكثر من كونها صادرة عن تجربة حقيقية، يقول في قصيدة "حسناء ":

حسناء صدرُك حُقُّ خمرٍ ينتشي

حسناء نهدك زرّ وردٍ مغلقِ

عذريّ لم تعبث به يد عابث

في دفء صدرك بعدُ لم يتفتقِ [1].

وليس غريبا أن تتفتح قريحته الشعرية على المرأة والحب، فالباحث في الأعمال الشعرية الأولى لكثير من الشعراء يجد أن المرأة والحب هما المحطة الأولى التي يدلف عبرها الشعراء إلى عالم الشعر[2]، من هنا، نجد عبد اللطيف عقل في ديوانه الأول (شواطئ القمر) يتبنى اتجاها شعريا ذا ملامح رومانسية، فيترجم عبر شعره انفعالات عاشق متيم، يقول في قصيدة "مأتم":

سأمزقُ القلبَ الصبي قصائدا

من غير ما ندم ولا إشفاق

سأظلّ أغرفُ منه شعرا يانعا

يزجي الهوى بخوافق العشاق[3].

ولم تبق صورة المرأة في دواوينه اللاحقة على الحال التي ظهرت في ديوانه الأول، بل ظهرت ذات أبعاد رمزية تتصل بموقف نقدي يوجب على الشاعر الالتزام بقضايا المجتمع الذي ينتمي إليه، في مقابل التخلي عن نزعاته الذاتية، ويتبنى فكرة الالتزام، التي تأتي من حرص الشاعر على تسخير طاقاته الفنية وقدراته الإبداعية في سبيل التعبير عن القضايا

[1] عبد اللطيف عقل، **الآثار الشعرية**، ج1 (فلسطين: بيت الشعر، 2014)، 66.

[2] إبراهيم علان، **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال من العام (1948-1972)** (الشارقة: مطبعة الشهامة 1995)، 86.

[3] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.1، ص152.

العامة التي تتصل بالمجتمع الذي يعيش فيه [1]. وعلى أساس ارتباط الأديب بمجتمعه نشأت هذه الفكرة التي تستهجن استغراق الشاعر في البحث عن ذاته في الوقت الذي يرى فيه إخوانا له يتجرعون المعاناة والآلام[2].

من هنا، يصبح الوطن قضية عقل، وتظهر عناصره عنوانا رئيسا في شعره، فنرى الأرض في صورة محبوبة، ويبرز الشاعر في صورة عاشق يتعلق بها، وهذا يعد اتجاها مقصودا في الشعر الفلسطيني الحديث؛ سبقه إليه شعراء والتزم به آخرون كعبد الكريم الكرمي ودرويش، وسميح القاسم وغيرهم، الذين ارتبطوا بأرضهم ارتباط العشاق بمعشوقاتهم. يقول الكرمي في قصيدة "أحببتك أكثر":

كلما حاربت من أجلك أحببتك أكثر
أيّ ترب غير هذا الترب من مسك وعنبر؟!
يا فلسطينية الاسم الذي يوحي ويسحر
تشهد السمرة في خديك أن الحسن أسمر[3].

ويعبر عقل عن حبه لأرضه وتعلقه بها في سياق مشابه للذي عبر عنه الكرمي، حيث يرى أن ممارسات الاحتلال المتمثلة في الضرب والسجن لا تزيده إلا تعلقا بأرضه، فهي رفيقته في وحدته يتحد مع مكوناتها وعناصرها من التين واللوز. يقول في قصيدة "حب على الطريقة الفلسطينية":

وحين أساق وحيداً،
لأجلدَ بالذل
أضرب بالسوط في كل مخفر.
أحسّ بأنّا حبيبان ماتا من الوجد

[1] ينظر: محمد مندور، **الأدب ومذاهبه** (القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت)، 15.

[2] محمد غنيمي هلال، **النقد الأدبي الحديث** (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، 1973)، 419.

[3] أبو سلمى، **من فلسطين ريشتي** (عكا: الديوان، دار الأسوار، 1971)، 26.

سمرا... وأسمر.
تصيرينني وأصيرك،
تينا شهيا ولوزا مقشّر
وحين يهشّم رأسي الجنود،
وأشرب برد السجون،
لأنساك، أهواك أكثر[1].

وجاءت تجربة عقل الشعرية في مضمونها تعبر عن الاتجاه الاشتراكي الذي ظهر لدى كثير من الشعراء الفلسطينيين أمثال درويش وسميح القاسم، حيث عبر مثلهم عن انتمائه لطبقة الكادحين من الفلاحين والعمال والفقراء ووقف إلى صفهم ينتصر لهم ويرى فيهم حملة لواء الثورة والخلاص والحرية، قد رأى أن الاشتراكية في شعره لم تكن فلسفة بقدر كونها حلا للخلاص، وقد تبناها بعد أن وعى على القمع والفقر [2]، ويعبر عن ذلك شعرا في قصيدة " أحزان عاشق مات صغيرا "، يقول:

مع الفلاحين أشق الأرض جراحا، أدفن
فيها الثورة والحب، وفي يوم تبتسم الحرية
في الإنسان، وتسكن في الكلمات معانيها
تنمو أجنحة للأشياء
وفي ذلك الوقت، أغني للفرسان الآتين
أعرّي جسدي الأبرص بالخوف،
وأغتسل دما كالعطر، أقرأ شعري قدّام
تلاميذ الصف الأول والعمال البسطاء [3].

[1] عقل، **الآثار الكاملة**، ج.1، 327.

[2] أبو خشان وآخران، **محاورات عقل في الأدب والثقافة**، 60.

[3] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.2، 81-82.

ويتساوق عقل في شعره مع كثير من القضايا التي حظيت باهتمام الشعر المعاصر بعامة والشعر الفلسطيني بخاصة؛ حيث يتناول موضوعة المدينة، ويعبر عن موقفه منها، وقد بدا موقفه منها يتصل بتجربة ذاتية، لكنه جاء منسجما مع رؤية كثير من الشعراء الذين رسموا في أشعارهم صورة سلبية للمدينة، يقول في قصيدة " الفارس ومدينة الأرقام ":

ومدينتنا لا تحفل بالغرباء
ونحن تحجّرنا طوبا،
وقتلنا الأفئدة الخضراء
صارت أفئدة أشياء.
ما أقسى أن تتشيّأ أفئدة الناس
تتحول أسفلتا، آلاتٍ، ونحاس [1].

كل ذلك وغيره يدلل على أن خطاب عقل الشعري هو جزء لا يتجزأ من الخطاب الشعري الفلسطيني، وهو صوت متآلف مع الأصوات الشعرية؛ يعزف على إيقاعها، ويتبنى خطابها في كثير من اتجاهاته، لكن ذلك لا ينفي أنه صبغ خطابه الشعري بصبغة خاصة تتصل بما أودعه فيه من أساليب وصور وأخيلة.

المحور الثاني: الرؤية النقدية في شعر عبد اللطيف عقل.

تجلت الرؤية النقدية في شعر عقل في الوقوف في قضايا متعددة ذات دلالات تتصل بالعملية الإبداعية والنقدية وما يتصل بها من محاور (المبدِع، المبدَع، المتلقي) وما يحيط بهذه المحاور، حيث تناول في شعره، قضية الإلهام الشعري، وعرض بواعثها، ووقف على الإبداع الشعري ولحظات الانفعال المتصلة به، وقدم رؤيته للشعر عبر الوقوف على مفهومه ووظيفته، وهذه القضايا ذات أبعاد نقدية؛ تناولها النقاد قديما وحديثا، وهي قضايا ذات حضور لافت في الخطاب الشعري الفلسطيني الحديث.

[1] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.1، 280.

أولاً: النقد والناقد

إن مفهوم النقد وسمات الناقد من القضايا التي حظيت باهتمام واسع في الحياة الأدبية والنقدية؛ قديمها وحديثها، ولا شك أن العلاقة بين النقاد والأدباء بقيت وما زالت يشوبها الاضطراب؛ بفعل التحولات التي تطرأ على مفهوم النقد من جهة، ومفهوم الأدب من جهة أخرى، وإن موقف الشعراء من النقاد لم يقتصر على زمن دون آخر، وكذلك لم يتحدد بمكان دون آخر، ففي الخطاب الشعري الفلسطيني نجد كثيرا من الشعراء عبروا عن موقفهم من النقاد، واللافت أن المواقف تكاد تأخذ اتجاها سلبيا، فها هو درويش يعبر في شعره عن موقفه من النقاد فيما يتصل بالسطحية والتصيّد المقصود في تأويل خطابه الشعري وتحميله ما لا يحتمل، يقول في قصيدة "إلى ناقد":

إلى ناقد: لا تفسر كلامي
بملعقة الشاي أو بفخاخ الطيورِ!
يحاصرني في المنام كلامي،
كلامي الذي لم أقله [1].

ويعبر عقل عن موقفه من النقاد بأسلوب ساخر حيث يشير إلى حالة التخبط التي يعيشونها بسبب انعدام الرؤية الموضوعية في التحليل، فإذا كان درويش قد رأى أن ناقد قصيدته اعتمد ملعقة الشاي كأداة من أدوات نقده، فإن عقل رأى أن الناقد يستخدم المسطرة لقياس طول قصيدته، وينظر لها بمقياس حجمها، وعدد سطورها، لا بمقياس عناصرها الفنية ونوعها، يقول في قصيدة "الورقة الثانية":

قاس قصيدتي بالمسطرة
فزادت عصفورا
وأعاد القياس

[1] محمود درويش، **حالة حصار** (بيروت: دار رياض الريس، د.ت)، 25.

فنقصت طفلا ومسجدين [1].

وقد حاول عقل في مطولته "بيان العار والرجوع" التعبير عن رؤيته من العملية الأدبية وما يتصل بها من حركة نقدية؛ وفيها عرّض بأولئك النقاد المرتشين الذين يوازنون بين الأشعار والمقالات من منطلق أحجامها وعدد سطورها، ولا يميّزون بين الفن الأصيل المطرب بإيقاعه والمعبر بفكره، وبين الكلام الذي يشبه نقيق الضفادع؛ لأنه يخلو من السمات التي تمنحه صفات الفن، يقول في قصيدة "بيان العار والرجوع":

سلام على الناقد العبقريّ
يوازن تسعيرة القدْحِ والمدحِ،
ويحسب سعر المقال الرخيصِ،
بعدّ السطور
كمثلِ المقالِ الذّهبْ
وفي جوهر الأمرِ ليس يميّزُ
بين نقيق الضفادعِ
في البرك الآسناتِ وبين أصيل الطّربْ.
ينظرُ للفكر معتمدا منطق القرشِ،... [2]

ثانيا: الإلهام الشعري

الإلهام الشعري من القضايا الهامّة التي تناولها النقد العربي، قديمه وحديثه، حيث آمن قدماء اليونان بالإلهام إيمانا مطلقا، في تفسير عملية الإبداع الشعري، وكان مصدر الإبداع الشعري عندهم يتمثل في ربّات الشعر اللواتي يمنحن الشعراء القدرة على قول الشعر، وردّ النقد العربي القديم ذلك إلى شيطان الشعر، لكن النقد الحديث صار يرى في الإلهام إثارة

[1] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.1، 304.

[2] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.2، 278.

مباغتة أو شيئا كالوحي يُفقد النفس سيطرتها، وبعضهم يرى فيه بزوغا فجائيا للوعي الباطن[1].

وقد تناول عقل في شعره مصادر الإلهام الشعري وبواعثه، فبدت المرأة الباعث الأول في تجربته الشعرية الأولى، المتجلية في ديوانه الأول " شواطئ القمر"، يقول في قصيدة " أغنية للشيطان ":

لولاكِ ما هتفَ الفؤادُ بقصةٍ
شعريةٍ ولما كتبتُ كتابي [2].

وظهور المرأة بمظهر الملهم ينسجم مع البواعث التي انطلق منها كثير من الشعراء في تجاربهم الشعرية الأولى، واللافت في شعر عقل أن المرأة بدت باعثا بما تتصف به من صفات حسية كـ (النهدين والصدر والخصر والثغر والساقين)، يقول في قصيدة " ضياع " على لسان المرأة:

أنا لي نهدان يا شاعر والخمرة تغري
وسمومُ الموت في صدري وخصري
ربما لاقيت شعرا حالما في خمر ثغري
نم معي الليلة يا هذا
وقل رأيك في الصبح بساقيَّ وصدري [3].

ولم تكن المرأة بصورتها المطلقة التي تفتن الشاعر وتستثير في نفسه قول الشعر، من هنا نجده يخاطب المرأة العجوز ويطلب منها أن تعذره؛ لأنها لا تمتلك تلك الصفات الجمالية التي تفتنه وتثير في نفسه قريحة الشعر، يقول في قصيدة "العجوز العاشقة":

أنت يا سيدتي في عمر أمي
فاعذريني، وأنا بعدي صبي شاعرٌ

[1] أحمد كمال زكي، **دراسات في النقد الأدبي**، ط.2 (د.م: دار الأندلس، 1980)، 122.

[2] عقل، **الآثار الشعرية**، 157.

[3] عقل، **الآثار الشعرية الكاملة**، ج.1، 98.

يأسرني فيض الفتون [1].

وصحيح أن المرأة لم تبق هي الملهم الوحيد لعقل، لكنها ظلت حاضرة برمزيتها حين جاءت معادلا موضوعيا للأرض التي حلّت محلّها، ففي دواوين عقل اللاحقة، راح يخاطبها مخاطبة العاشق معشوقته، ويبثّها حبّه وأشجانه، ويرى أنها تستثير الشعر في نفسه كجدول العطر، وتحوّل لغته الشعرية إلى قناديل تنير طريقه، وتبثّ الحياة في أيامه، والحبّ في نفسه، يقول:

لماذا حين أكتب عنك
تجري في خاطري الكلمات
جدول زنبق عطر.
وأَحَلْتَ الخوف في لغتي قناديلاً
وصيّرت الشتاء الساكن الكلمات
في قلبي نهاراً مشمسا
وهل يستحيل المرء عصفورا بلا سبب؟!
وأصير وأنت في لغتي
كيانا عامراً بالحب، قديساً،
فلا جسدي يعذبني، ولا قلقي
وأغدو شاعرا خلصت قصائده
من الإحساس والتعب [2].

وقد أنسن ملهمته وقدمها في صورة محبوبة تعاتبه؛ بسبب جمود قريحته الشعرية أمام جمالها، يقول في قصيدة "حوار السقوط" على لسان الأرض (المعشوقة):

[1] عقل، **الآثار الشعرية الكاملة**، ج.1، 125.

[2] **ن.م.**، 58-59.

تخشّبت يا سيدي لا تكابر.

كأنك ما أزهر اللوز في شفتيكَ

كأنك ما عدت شاعر[1].

وتظهر الأرض في صورة المعلمة ويبدو الشاعر في صورة التلميذ، حيث لا ينسى فضلها بعد أن علّمته احتراف الرفض والغضب؛ إذ انعكس ذلك على كلماته. يقول في قصيدة "أغنية إلى حبيبتي":

وهل أنسى؟!

تعلمت احتراف الرفض،

من عينيك

ما أحلى احتراف الرفض والغضبِ [2].

ثالثا: الإبداع الشعري:

إن الإبداع الشعري من القضايا الهامة التي شغلت الفلاسفة والنقاد قديما وحديثا، فحاولوا تفسير العملية الإبداعية منذ مرحلة الإلهام مرورا بمرحلة المخاض، وصولا إلى مرحلة الولادة، ووقفوا على مفهوم الإبداع، وقد ذهب أرسطو مذهبا رأى فيه أن الإبداع الشعري هو جهد إراديّ واعٍ، يقوم على استكشاف آفاق التجربة الشعرية، واختيار الشكل الفني المناسب للتعبير عنها، ويتأنق في صناعة هذا الشكل، معتمدا على الدِّرْبَة والصياغة الفنّية [3]؛ ورأى ابن رشيق أنه يقوم على إتيان الشاعر بالمعنى المستطرَف الذي لم تجرِ العادة

[1] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.1، 387-388.

[2] **ن.م.**، 394.

[3] محمود الربيعي، **في نقد الشعر** (القاهرة: دار المعارف، د.ت)، 29.

بمثله [1]، ويرى عقل أن "**لحظة الإبداع هي لحظة كشفيّة، لحظة وميض يأتي بين لحظة وأخرى**"[2].

ويصف عقل لحظات الإبداع الأولى بقوله: إنّ "**لحظة الإبداع الأولى تظلّ تلحّ عليك ساعات أو أياما، وتبقى تراكم معطياتها على مدى زمني ممتد، وحالة شعورية متوترة تنتابك قبيل النوم، وأنت في السيارة، وأنت مع الآخرين، يسكنك هاجس الكتابة**"[3].

ويظهر الإبداع لدى عقل متصلا بالشعور والمعاناة، وينبثق عن تجربة وعلم به، وما قصائده سوى شعور ودم، قبل أن تتحول إلى ألحان يطرب لها الناس، يقول في قصيدة "بين عينيك وفنّي":

أطعم الفنّ شعوري ودمي

وهو يعطي الناس آلاف اللحونِ.

أنا بين الفن والحب فلا

تفكري في ساعة أن تأخذيني

غرتِ من ربّات شعري فمتى

تنصفي الفن النّقي أو تنصفيني[4].

ومصدر الشعر لدى عقل ليس ربات الشعر، أو شياطينه، إنما القلب والحب، وهي رؤية آمن بها كثير من الشعراء المحدّثين، ويقول في نفس القصيدة أيضًا:

سأمزق القلب الصبي قصائدا

من غير ما ندم ولا إشفاق

---

[1] ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ج.1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، د.ت)، 188.

[2] أبو خشان وآخران، **محاورات عقل في الأدب والثقافة**، 96.

[3] **ن.م.**، 106.

[4] **ن.م.**، 149.

سأظل أغرف منه شعرا يانعا

يزجي الهوى بخوافق العشاق. ص152

والإبداع لدى عقل هو إعادة بناء الواقع باللغة؛ فها هو يعيد بشعره الحياة للمدينة اليباب؛ ليبث الحياة في مكوناتها، حيث يعيد للمآذن رشاقتها وللقباب رقتها، ويزرع في جدرانها الرفض، ويضخّ في رئات أهلها الحياة، بعد أن ماتت ضمائرهم، وأضحوا رهائن للجهل والحرمان، وإن الشاعر بهذه الصورة التي يقدمها للمدينة، يعلن موقفه من المدينة، من جهة، ويظهر دور الشعر في إعادة إنتاجها، يقول في قصيدة الرفض بالاعتراف ":

وأكتب القصائد الطوال.

أعيد للمدينة اليباب.

رشاقة المآذن البيض ورقّة القباب

ما زلت، ما زال

أجمّش الجديل في حاراتها،

أزرع في الجدران

فسائل الرفض وأصبغ الحيطان

أضخّ في رئات أهلها التي تآكلت بالجهل والحرمان

دما يعيد للجدران قامة الجدران.

أجرف من ضميرها عفونة اليومِ،

عفونة الأمس

عفونة الزمان.....[1]

[1] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.1، 377.

رابعا: مفهوم الشعر ووظيفته

لا شك أن أعمال الشاعر الإبداعية تجسيد حيّ لرؤيته الشعرية، لكن الشاعر يمكن أن يخصّص جزءا من شعره للتعبير عن رؤيته للشعر، وهو بذلك يقوم بدور الناقد، ويظهر شعره في هذا السياق حاملا رؤية نقدية يمكن أن تجعل منها مفاتيح للولوج إلى شعره أو معايير يقاس بها هذا الشعر، حيث يندرج تعبير الشاعر عن مفهومه للشعر في سياقات مختلفة، لكن أبرزها توجيه النقد لكثير من الكلام الذي يُمنح صفة الشعر، ولا يحمل مقوماته.

وفي ضوء البحث في مفهوم الشعر لدى عقل، نجده يرى أن الشعر وضع الكلام في أبنية موسيقية، وهو وعاء للهوى والحب، وقد عبّر عن ذلك نثرا حين قال: " **أنا لا أحترم شعرا أو نثرا لا موسيقى فيه وأعتقد أن النثر أيضا يجب أن يكون فيه موسيقى، وأرى أن الموسيقى موجودة في الكلام وموجودة في اللغة**"[1]، وفي سياق التعبير عن مفهوم الشعر يعبر عن إعجابه بالشاعر كمال ناصر، لأنه عرفه بموسق الكلام، ويُحمّل ألفاظه معاني الحب، يقول في قصيدة "حين تغني الجراح":

عرفته وكان شاعراً

يُموسق الكلام،

يودع الحروف لوعة الهوى،

كان فراشةً وكانت النساء حوله زهور [2].

والشعر- بحسب الشاعر- انفعال يشبه رقة إحساسه وتفاعله مع الأشياء، يقول في قصيدة "رسالة إلى صديق قديم":

قرأتك فانفعلت

[1] أبو خشان، وآخران: **محاورات عقل في الأدب والثقافة**، 54.

[2] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.1، 483.

وإنني كالشعر أنفعل[1].

والشعر يعبر عن آمال الشعوب وآلامها، وهو أكبر من أن يراق في مهرجان، لذلك نجد الشاعر يعرّض بأولئك المحسوبين على الشعر الذين يحولون أشعارهم إلى خطابات، بحرف الشعر عن مساره، يقول في قصيدة "بيان العار والرجوع":

ففي الشعر يسكن حسّ الشعوب
كما تسكن النار في الموقدِ
ومن يقتل الشعرَ في المهرجان
كمن يقتلُ الطفلَ في المولدِ [2].

وفي التعبير عن وظيفة الشعر يرى عقل أن الشعر سلاح لمواجهة الطغاة فلا يجوز أن يتحول إلى خطاب للمداهنة والنفاق والتزلف لكسب ودّ الآخرين من أصحاب النّفوذ والسلطان؛ لأن ذلك يشكل طعنة في خاصرة الفنّ وأهله، وانحرافا في الوظيفة التي تتصل به. يقول في قصيدة "بيان العار والرجوع":

هو الشعرُ لمّا يقاتل يزهو
ولمّا يداهن يكبو
ولمّا ينافق أقسى من الطعن في الخاصرة [3].

ويعبر عقل عن إيمانه بفكرة الالتزام التي تنطلق من فكرة انصهار الذات في بوتقة الجماعة[4]؛ وهي الفكرة التي نادى بها كثير من الشعراء الفلسطينيين وعبروا عنها في أشعارهم،

[1] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.2، 116.

[2] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.2: 283.

[3] **ن.م.**، 290.

[4] يونس فقيه، **ملامح الالتزام القومي في شعر نزار قباني** (لبنان: دار بركات للطباعة والنشر، 1998)، 22.

وهو من هنا يسخر من انشغال بعض الشعراء بالغزل والتعبير عن افتتانهم بجمال المرأة في الوقت الذي تُسرَق بها الأوطان ويُستباح شرف الأمة، يقول في قصيدة " بيان العار والرجوع":

هلا بالذي فقأوا عين أمته،

وهو منشغل بجمال المقل.

هلا بالذي سرق الغاصبون السفوح،

السهولَ بموطنهِ واستباحوا النساء الصغيرات والعاجزات،

وما زال يسترق السمع للشرف المستباحِ،

وراء الجبل....[1]

الخاتمة:

تعبر تجربة عبد اللطيف عقل عن رؤية نقدية ذات أبعاد أيديولوجية؛ وقد بدا عبر هذا الاتجاه جزءا من مدرسة قدّمت موقفها من قضايا تتصل بالإبداع شعرا، حيث عبّر عن رؤيته للعملية النقدية، وحدّد بعضا من السمات الواجب توافرها في النقاد، ووجه لومه لبعض النقاد الذين لا يتبنّون رؤية نقديّة موضوعيّة، وتناولت هذه الدراسة أيضا رؤية عقل في الشعر ووقوفه على مصادر الإلهام، ولحظات الإبداع الشعري، قبل أن يحدد بعضا من وظائف الشعر، ويهجو الشعراء الذين حادوا عن طريق الشعر في توجيه إبداعهم.

ولعل هذا البحث في الرؤية النقدية لدى عقل يسهم في فتح المجال لدراسات أخرى تتناول الرؤية النقدية لدى غيره من الشعراء على المستويين الفلسطيني والعربي، بوصفها ظاهرة شعرية لها أبعادها القديمة وتتصل بالحداثة الشعرية.

[1] عقل، **الآثار الشعرية**، ج.2، 280.

النتائج والتوصيات:

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج:

1. بدت تجربة عقل جزءا من التجربة الشعرية الفلسطينية الحديثة من حيث الشكل، حيث تبنى الاتجاه العمودي في الشعر في ديوانه الأول "شواطئ القمر" ثم انتقل إلى قصيدة التفعيلة قبل أن ينظم في المطوّلة الشعرية في المراحل الأخيرة من تجربته الشعرية.
2. تشابهت تجربة عقل الشعرية من حيث مضمونها مع كثير من التجارب الشعرية للشعراء الفلسطينيين أمثال، عبد الكريم الكرمي ومحمود درويش وغيرهم، حيث تفتحت قريحته الشعرية على المرأة بالمفهوم الفيزيقي قبل أن تتحول إلى معادل موضوعي للوطن، كما أن نظرته للمدينة التي جاءت مقابلا للقرية باتت منسجمة مع نظرة كثير من الشعراء.
3. يجد الباحث في شعر عقل أنه يعرض رؤيته النّقدية المنسجمة مع الخطاب الشعري الذي تبناه بعض الشعراء الفلسطينيين؛ فقد تناول في شعره قضايا ذات أبعاد نقدية مثل: النقد والناقد، والإلهام الشعري، والإبداع الشعري، ومفهوم الشعر ووظيفته.

أما التوصيات فيمكن حصرها بالآتية:

1. ضرورة البحث في الرؤية النقدية في الشعر العربي الحديث بعامة والشعر الفلسطيني بخاصة، علما أن هذا الموضوع لم يحظ بدراسة شافية شاملة.
2. يدعو الباحث إلى النظر إلى تجربة الشعراء الفلسطينيين في ضوء الحركة الشعرية العربية، والحركة الشعرية الفلسطينية.

المصادر والمراجع والرسائل:

إشتية، معاذ. **عبد اللطيف عقل شاعرا**. أطروحة ماجستير، جامعة النجاح، 2004.

أبو خشان، عبد الكريم وآخرون. **محاورات عقل في الأدب والثقافة**. ط.1. د.م.: المركز الثقافي الفلسطيني "بيت الشعر"، 1999.

درويش، محمود. **الديوان**. ط.11. بيروت: دار العودة، 1984.

----------. **حالة حصار**. بيروت: دار رياض الريس، د.ت.

الربيعي، محمود. **في نقد الشعر**. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

زكي، أحمد كمال. **دراسات في النقد الأدبي**. ط.2. د.م: دار الأندلس، 1980.

أبو سلمى، عبد الكريم الكرمي. **من فلسطين ريشتي**. الديوان، عكا: دار الأسوار، 1971.

عطافن، خيرة، قصور حسيبة. **قضية الالتزام في شعر محمود درويش. دراسة تحليلية لقصيدة "الأرض نموذجا"**. رسالة ماجستير، بونعامة، الجزائر: جامعة الجيلالي، 2016/2015

عقل، عبد اللطيف. **الآثار الشعرية**. ج.1. فلسطين: بيت الشعر، 2014.

----------. **الآثار الشعرية**. ج.2. فلسطين: بيت الشعر، 2014.

علان، إبراهيم. **الشعر الفلسطيني تحت الاحتلال من العام (1948-1972)**، الشارقة: مطبعة الشهامة، 1995.

فقيه، يونس. **ملامح الالتزام القومي في شعر نزار قباني**. لبنان: دار بركات، 1998.

الفيروزي أبادي. **القاموس المحيط**. ط.5. بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت.

القيرواني، ابن رشيق. **العمدة**. ج.1، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، د.ت.

كنفاني، غسان. **الأدب الفلسطيني المقاوم 1948-1968**. بيروت: منشورات الرمال، 2013.

مندور، محمد. **الأدب ومذاهبه**. القاهرة: دار نهضة مصر، د.ت.

هلال، محمد غنيمي. **النقد الأدبي الحديث**. القاهرة: دار نهضة مصر، 1973.